الفصل الثالث

الزَّفَافُ

بين البهجة والذكريات

البحث الأول:

حفل عقد الزواج وحفل الزفاف[1]

سَنَّ الإسلام الاحتفال بعقد الزواج، إذ هو من الأمور الجليلة التي ينبغي أن يشهدها أولو الصلاح والفضل، فيجتمعون تشملهم مشاعر الحمد وأماني النجاح والتوفيق. وفي هذا الجو الطهور تتردد كلمات الحق والخير وتؤكد عزائم التقوى والإيمان في هذه الخطبة المأثورة عن رسول الله ﷺ:

عن عبد الله رضي الله عنه قال: علمنا رسول الله خطبة الحاجة في النكاح وغيره: الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[2] ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[3] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[4] رواه أصحاب السنن.

---

(١) الأسرة في الإسلام.. للدكتور مصطفى عبد الواحد ص: ٤٠-٤٢، ط. مكتبة المتنبي - القاهرة.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٣) سورة النساء، الآية: ١.

(٤) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠ - ٧١.

وهذه الآيات المختارة لتلك المناسبة توحي بجو الحق والصدق الذي يريده الإسلام لهذه العلاقة.

وكذلك من السنة إقامة حفل للزفاف يتحقق به إعلان الزواج وإذاعته.

ولا بأس في هذا الحفل من اللهو بما لا يُحدث منكراً ولا يؤدي إلى باطل، مثل الضرب بالدف والطرب بالصوت، وهذا قدر متعين لإعلان النكاح.

عن محمد بن حاطب عن النبي ﷺ قال: «**فصل ما بين الحرام والحلال الدف والصوت**» رواه النسائي والترمذي وحسنه. وعن عائشة عن النبي ﷺ قال: «**أعلنوا هذا النكاح، واجعلوه في المساجد، واضربوا عليه بالدفوف**». رواه أحمد والترمذي وحسنه، وضعفه الشيخ ناصر. ولا غضاضة في هذا ولا حرج، فقد رخص فيه الرسول ﷺ ومضى عليه المسلمون في عصره وبعده.

عن عامر بن سعد رضي الله عنه قال: «دخلت على قرظة بن كعب وأبي مسعود الأنصاري في عرس، وإذا جوارٍ يغنّين».

فقلت: أنتما صاحبا رسول الله ﷺ، ومن أهل بدر يفعل هذا عندكم؟

فقالا: اجلس إن شئت فاسمع معنا، وإن شئت فاذهب، قد رخّص لنا في اللهو عند العرس. رواه النسائي والحاكم وصححه.

وليس بكثير على تلك المناسبة ساعة لهو مباح، تبدّد العناء وتغمر الوجوه بالبشر والقلوب بالفرح، وهذا من يسر الإسلام وسماحته وعرفانه لطبائع النفوس وحاجاتها.

ولكن كثيراً من المسلمين فجروا عن نهج دينهم، فتطرفوا في هذا الأمر بين التفريط والتشديد.

فمنهم من ينتهز هذه الفرصة السانحة للعصيان والفسوق عن أمر الله.

وليس هذا بشكر لتلك النعمة ولا حمد لهذا الفضل، ولا يصلح بداية لبناء أسرة ولا مطلعاً لتأسيس بيت.

ومنهم من يغالي في الاحتياط والمنع فيجعل العرس يمر في تزمّت وضيق.

والخير والسلامة في اتباع هدي النبي ﷺ والسير على سننه القويم.

البحث الثاني:

حفل وليمة العرس والدعاء للعروسين[١]

كما سن الإسلام للزوج أن يقيم وليمة يطعم فيها أهله وأصحابه ويجعل فيها حظاً للفقراء والمحاويج، شكراً لربه وعرفاناً لفضله. ولا يتكلف، بل يبذل ما يستطيع، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾[٢].

عن أبي سعيد الساعدي أنه دعا رسول الله ﷺ في عرسه، وكانت امرأته يومئذ خادمتهم وهي العروس، فلما أكل رسول الله ﷺ سقته نقيع تمر كانت نقعته في الليل. متفق عليه.

وقد كان هذا نهج رسول الله ﷺ، كان يولم بما يقدر عليه، ولم يزد في ذلك عن شاة.

قال أنس رضي الله عنه: «**ما رأيت النبي أولم على أحد من نسائه ما أولم على زينب: أولم بشاة**» متفق عليه.

الدعاء للعروسين:

وقد ورد في السنَّة المطهَّرة الدعاء للعروسين بعد تمام البناء واستحكامه، فسنّ الرسول صلوات الله عليه تهنئة الزوج بذلك الدعاء الذي يشف عن تأمين الخير ورجاء التوفيق.

«**بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير**» رواه أصحاب السنن.

ويسن تهنئة الزوجة بمثل ذلك.

قالت عائشة: «تزوجني النبي ﷺ، فأتتني أمي فأدخلتني الدار، فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقلن: على الخير والبركة وعلى خير طائر». رواه البخاري وأبو داود.

---

(١) الأسرة في الإسلام.. للدكتور مصطفى عبد الواحد ص: ٤٢-٤٣.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ٧.

وهذا وإن كان جائزاً بأي لفظ، إلا أن في الحرص على المأثور بركة وخيراً وإحياء لشعائر الإسلام.

البحث الثالث:

ليلة الزفاف ليلة العمر[١]

هي ليلة العمر كما يسميها الشباب، والواقع أنها ليلة مجيدة في حياة الأسرة ينبغي أن تذكر كل عام لتراجع إنجازات الأسرة من الأحلام التي كانت تناط بالزواج وتؤجل إلى الليلة الأولى من الالتحام الأخوي، كما ينبغي أن يكون لها تمهيدات وتحاط بآداب، أما التمهيدات لها فطويلة، تبدأ من اختيار كل من العروسين رفيقه على قاعدة من التكافؤ والتدين، التوافق الطبعي، فيرى كل شريك حياته رؤية تقنعه نفسياً وعاطفياً، في غير تبذل من الفتاة ولا خروج عن آداب الشرع...

فإذا ارتضى كل من العروسين رفيقه كانت الخطبة الرسمية... ومن آدابها خطبة يذكر فيها مآثر كل من الزوجين وأهليهما، بعد اتفاق على المهر، وبعد تعرف كل من العروسين - بطريق مباشر وغير مباشر - على طبيعة عمل الزوج وعاداته ومستواه العلمي والمالي والطبقي، في المجتمعات التي لا تزال تعبأ بالطبقية، فإذا كان الزوج متعلماً ومتديناً كان كفئاً لكل زوجة من أي مستوى طبقي تكون؛ لأنه لا أشرف من نسب العلم والدين.

لا يقال: يجب الاختلاط الطويل وإتاحة الفرصة للخطيبين كي يتعرفا منفردين على بعضهما تعرفاً على أوسع نطاق. فهذه مغالطة.. إذ انفرادهما يجعل الشيطان ينفخ فيهما النزوات ويهيج الحب الجنسي.. والحب يعمي

(١) المرأة في التصور الإسلامي: عبد المتعال محمد الجبري ص: ٧٣، ط. مكتبة وهبة - القاهرة.

ويصمّ، فلا يكون معه تعرّف على شيء. وإذا تمت الخطبة وجاءت ليلة انتقال العروس إلى بيت زوجها؛ فإن الإسلام لا يغفل الجو النفسي الذي يسيطر على كلا الزوجين.. هذا الجو المشحون بالمشاعر والعواطف والخواطر، فيحاول ملء هذا الجو بجو آخر يشيع فيه السرور والبشر، حتى تبدو الحياة الزوجية في بداية متفائلة راضية.

ومن الآداب المرعية في هذه المناسبة السارة:

١ - الوليمة: ومن سنة الإسلام الوليمة كما في الحديث: «**أوْلِمْ ولو بشاة**»(١).

وإذا لم تتيسر فأقل شيء يكفي؛ فقد أولم رسول الله ﷺ على زوجته صفية بسويق وتمر.

ويتحاشى أن تكون الوليمة على مستوى رفيع من اللحوم والحلوى والفواكه يحرم منها الفقراء كما في الحديث: «**بئس الطعام طعام الوليمة، يدعى لها الأغنياء ويترك الفقراء**»(٢) ومهما يكن فلا أقل من غذاء طيب للزوجين.

٢ - ولا بأس أن يكون هنالك إعلان عن الزواج إذا لم يتم في يوم عقد القِران كما في الآثار: «**أعلنوا النكاح ولو بالدف**»(٣)، والسمر البريء مقبول وليس مشروطاً، والغناء مقبول ما لم يكن فاحشاً في موضوعه أو في طريقة الأداء... أو في طريقة السماع كالاختلاط المحرم شرعاً. فإذا اختلط الجمعان وفيهم امرأة واحدة سافرة وجب فض الجمع وقصر الحفل على النساء.

ولا يجوز أن تكون الوليمة وحفل السمر إلا من فائض عن حاجة العريس، وبما لا يرهقه ويجعله يمد يده للآخرين، ففي الحديث: «**اليَدُ العُليا خيرٌ من اليد السُّفْلى**»(٤).

---

(١) هو في صحيح مسلم، انظر صحيح الجامع الصغير ج ١/ ٥٠٠، رقم ٢٥٥٦.
(٢) حديث ضعيف، انظر ضعيف الجامع الصغير، رقم ٢٣٥٣.
(٣) حديث ضعيف، انظر ضعيف الجامع الصغير، رقم ٩٦٧.
(٤) صحيح الجامع الصغير ج ٢/ ١٣٦٢، رقم ٨١٩٥، وعزاه لأحمد والطبراني، وهو مخرّج في «مشكلة الفقر» للشيخ ناصر.

٣ - ويستحب الغسل والطيب ليلة الزفاف، ولبس أفضل الثياب، والحلق وإزالة ما يسن إزالته من الشعر وطول الأظافر.

٤ - ويستحب أن تكون ليلة الزفاف في غير أيام حيض الزوجة، فإنّ وطأها في الحيض حرام.

٥ - إذا دخل الزوج على عروسه استحب له أن يصلي هو وإياها ركعتين، فإذا لم يكونا قد صليا العشاء صلياها في جماعة، ثم يحمدان ربهما ويصليان على النبي وعلى آله وصحبه، ويدعو العريس وتؤمن زوجته على دعائه قائلاً:

«اللهم ارزقني إِلْفَها وودَّها، ورضاها لي، وأرضني بها، واجمع بيننا بأحسن اجتماع وأيسر ائتلاف، فإنك تحب الحلال وتكره الحرام».

وقال بعض الصالحين لبعض أصحابه: إذا دخلت على عروسك فخذ بيدها واستقبل القبلة قائلاً:

«اللهم على كتابك تزوجتُها، وبأمانتك أخذتها، فإن قضيت لي منها بولدٍ فاجعله مباركاً تقياً ذكياً، ولا تجعل للشيطان فيه شريكاً ولا نصيباً».

ومما سن رسول الله ﷺ لحفل الزفاف أن يلهو الجمع[1] بشيء من الغناء وضرب الدفوف؛ وقد زفت عائشة رضي الله عنها إحدى قريباتها إلى رجل من الأنصار، فقال لها النبي ﷺ: «**يا عائشة ما كان معكم من لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو**»...

وهذا اللهو هو الغناء وضرب الدف، لقوله ﷺ: «**فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت في النكاح**»، أي ضرب الدف ورفع الصوت بالغناء... وكان ﷺ يكره أن يمر حفل الزفاف صامتاً أخرس لا إعلان له ولا حس؛ فقد جاء في المسند وغيره أن النبي ﷺ كان يكره نكاح السر، حتى يضرب بدف ويقال:

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم

(١) المرأة بين البيت والمجتمع: للخولي ص: ٣٤-٣٦، ط. دار الفتح - بيروت.

فرسول الله ﷺ يسن لنا في حفل الزواج أن نضرب بالدف، ويكره أن يمضي الزواج سراً دون أن يرتفع له صوت... وكذلك يسن الغناء بالأغاني العفيفة المهذبة من نحو «أتيناكم أتيناكم» لا الأغاني المبتذلة، التي تهيج الشرور وتصف الخمور؛ وتدعو السامع إلى العبث والاستهتار... ولا فرق في ذلك بين أن يكون المغني فتى أو فتاة، رجلاً أو امرأة، فإن عائشة لما زفت قريبتها إلى الأنصاري قال لها ﷺ:

«أهديتم الفتاة؟».

قالت: نعم.

قال: **«أرسلتم معها من يغني؟»**.

قالت: لا.

قال: **«إن الأنصار قوم فيها غزل، فلو بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغني؟»**.

قالت: تقول ماذا في غنائها؟

قال: «تقول:

أتيناكم أتيناكم فحيّونا نحييكم
ولولا الحبة السمرا ء لم نحلل بواديكم»

فهذه العناية من رسول الله ﷺ بالغناء والدف ترينا أنه يريد لحفلة الزواج أن تمر ضاحكة، موشاة باللهو والأغاني ورنات الدفوف، لتأخذ البشرية حظها من تلك المناسبة السارة.

وقد جرى الصحابة ﷺ على ما رخص لهم رسول الله ﷺ فكانوا يجلسون للسماع والترف في أحفال النكاح ولا حرج؛ قال عامر بن سعد: «دخلت على قرظة بن كعب وأبي مسعود الأنصاري في عرس، فإذا جوارٍ يغنين.. فقلت: يا صاحبي رسول الله، يفعل هذا عندكم؟ فقالا: اجلس إن شئت فاستمع معنا، وإن شئت فاذهب، فإنه قد رخص لنا اللهو عند العرس».

obeikandl.com

ولا بأس باللعب، والمونولوجات، والتمثيل، والرقص المباح، على نحو ما كانت تصنع الحبشة أمام رسول الله ﷺ... ولا يحرم في ذلك إلا ما خرج عن الآداب وانتهكت به الحرمات..

وبعد... فهذا لون من اللهو والمرح، أراده رسول الله ﷺ في المناسبات السارة كالأعياد وأحفال الزواج، لتكتسي الحياة بشيء من المسرات، يتجدد به نشاط من تأنس نفوسهم إليه، فيظلون حياتهم بين ورع العبادة وأنس الطرب والسماع، والعبرة بأن يعصم المرء نفسه من نظرة خائنة، أو نزوة فاحشة، وبالله العصمة والتوفيق.

البحث الرابع:

الوصية قبل الزفاف للعروس

١ - احذري الكذب على زوجك؛ فالكذب يخلق في نفس الرجل الشك والارتياب وهما سم الحياة الزوجية[١].

٢ - احذري شدة الانفعالات العصبية فهي تجعل البيت شبه جحيم.

٣ - احذري الإسراف في التجميل متى كان زوجك غيوراً، لأن ذلك يغضب الغيور ويثيره ويلقي في روعه أن زوجه تتجمل لسواه حتى ولم تكن في الواقع كذلك.

٤ - احذري الإسراف في مدح أي رجل غريب أمام زوجك، فقد يصدر المدح منك بحسن نية، ولكن الزوج يكره أن تمدح امرأته رجلاً غريباً على مسمع منه، بل ولا يحب أن يسمع تفضيل مخلوق عليه.

(١) المرأة في التصوّر الإسلامي: لعبد المتعال محمد الجبري ص: ٧٨-٨٣ و ٨٧-٨٨، ط. مكتبة وهبة - القاهرة.

٥ - احذري البطنة فإنها تفسد الجمال وتجلب السمن، وتنحدر بالمرأة إلى مصاف الحيوان.

وقال آخر: بنيتي اعلمي:

١ - أن هناءك مرتبط ارتباطاً متيناً بهناء زوجك. بحيث لا مهرب لأحدكما من أن يكون سبب سعادة الآخر؛ أو علة شقائه، فاحذري أول نفورٍ يحدث بينك وبين زوجك، فلربما يتبعه نفور آخر إلى ما لا نهاية له.

٢ - أطيعي زوجك جهد استطاعتك، واجتنبي الهزؤ والسخرية والأحاديث المجونية، وإياك والمغالاة في الغيرة فإنها مفتاح الطلاق، وإياك وكثرة العتب فإنه يورث البغضاء.

٣ - حافظي على صحتك، وتجنبي ما يشوه نضارتك من الأصباغ المغرية التي تدخل المسام وتلتصق، حتى إذا ما سقطت تركت مكانها ثقوباً صغيرة في الجلد تزداد مرة بعد مرة حتى تفقد الجلد لمعته الطبيعية التي تشاهد في الوجوه النضرة الشابة والتي لم تلامسها الأصباغ والمساحيق.

وقد لوحظ أن الأصباغ التي للشفاه تتبلور مع اللعاب فتفرزها الكلى سموماً، بسببها نشاهد ظاهرة الإجهاض وتشنجات الحمل في المستعملات للمساحيق أكثر منها في غيرهن.

٤ - احملي بكل بسالة ما يجب عليك حمله؛ واعلمي أن الشؤون الخارجية هي من خصائص زوجك، أما الداخلية فتخصك أنت.

٥ - اعلمي أن كل رجل لطيف يقدر المرأة التي عندها من الكياسة وحسن الذوق والسياسة وما يجعلها تكتم في صدرها معظم شكاواها، ولا تقلقه بأن تكرر على مسمعه - في كل حديث - المسائل البيتية الصغيرة التي تضايقها.

٦ - نظمي شؤونك المنزلية، ولا تطلعي أحداً على أسرارك. وفي الحديث: «**إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يُفضي إلى امرأته**

وتُفضي إليه، ثم ينشر أحدهما سرَّ صاحبه»[١].

٧ - لا تفضّي رسائل زوجك بدون إذنه، ولا تلحِّي عليه في معرفة ما لا يريد إخبارك عنه.

٨ - احفظي لنفسك أسباب اختلافك معه، ولا تجعلي الغير يطلع عليها.

٩ - إذا زرتك مرات عديدة متوالية - دون أن أراك - فإن ذلك يحزنني، وإذا وجدتك - وأسعدني الحظ بأن أراك تهتمين بشؤونك كما أتمنى - فإن قلبي يفيض فرحاً وسروراً.. وأثقل شيء على قلب الأم والأب والأخ أن تعود إليه ابنتهم غضبى.

١٠ - احتفظي بهذه النصائح وطالعيها - على الأقل - مرة كل شهر، واذهبي بسلام، وأستودعك الله.

وأوصت امرأة عوف بن محلم الشيباني ابنتها عند زفافها إلى ملك كندة: أي بنية، إنك قد فارقت بيتك الذي منه خرجت، وعشك الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فكوني له أَمَةً يكن لك عبداً، واحفظي له عشر خصال يكن لك ذخراً:

أما الأولى والثانية: فالصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة.

وأما الثالثة والرابعة: فالتعهد لموقع عينه، والتفقد لموضع أنفه: فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح، والكحل أحسن الحسن، والماء والصابون أطيب الطيب المفقود.

وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت طعامه والهدوء عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة: فالعناية ببيته وماله، والرعاية لنفسه وحشمه وعياله، وملاك الأمر في المال وحسن التدبير.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ج ٤/ ٣٩١، وفي صحيح مسلم برقم ١٠٦٠، وأحمد في مسنده ج ٣/ ٦٩، بلفظ: «**إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يُفضي إلى امرأته وتفضي إليه..**».

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تفشي له سراً، ولا تعصي له أمراً، فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرتِ صدره.

ثم اتقي مع ذلك الفرح إن كان ترحاً، والاكتئاب عنده إن كان فرحاً، فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، وكوني أشد ما تكونين له إعظاماً، يكون أشد ما يكون لك إكراماً، وأشد ما تكونين له موافقة، يكن أطول ما يكون لك موافقاً. واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت، والله يخير لك.

وأوصت أمٌّ ابنتها فقالت:

أيْ بُنيّة: لا تغفلي عن نظافة بدنك فإن نظافته تضيء وجهك، وتُحبِّبُ فيك زوجك، وتبعد عنك الأمراض والعلل، وتقوي جسمك على العمل، فالمرأة التّفلة - أي النتنة - تمجها الطباع، وتنبو عنها العيون والأسماع، وإذا قابلت زوجك فقابليه فرحة مسرورة مستبشرة، فإن المودة جسم روحه بشاشة الوجه.

وأوصى أخ أخته عند زواجها وقد فقدت والديها قائلاً، أختي: كل المهابة والإجلال والخوف والحب الذي يظهر منك لنا، عليك أن تحوليه إلى زوجك فله أعظم الإجلال والمهابة والحب... والخوف كذلك. والله يسدد خطاك ويوفقك.

وأوصت أم ابنتها ليلة زفافها قائلة: لا أريد أن أخدعك يا ابنتي، فاعلمي أن حلاوة الزوجية تنتهي بنهاية الشهر الأول الذي لا تزال فيه الحقائق والأوهام غالبة في تخيلات تلك الصبوة، فإذا تمنيت مزيداً من الحلاوة في حياتك الزوجية فعليك بالنصائح والإرشادات الآتية:

١ - اجتهدي أن تنمي فيك السجايا التي حبّبتك إلى زوجك، وجعلتك عزيزة في عينيه يوم كنت آنسة. ولا تظني أنك - وقد صرت زوجة - يجوز لك أن تغيري مظاهرك السابقة، واذكري دائماً أن وظيفة الزوجة لا تبتدئ وتنتهي في مخدعها.

٢ - لا تسلمي لأحد في دعواه أنه يفهم زوجك أكثر منك، حتى ولا لأمك

التي هي أنا، لا تصغي للذي ينتقدون زوجك بحجة النصح له والغيرة عليه، فإنهم أعدى أعدائك.

٣ - إذا عرفت خطأ لزوجك أو شعرت بقصور منه فإياك أن تؤنبيه أو تعظيه، لئلا تعتدي على حق هو لأبويه أو لأخيه الأكبر.

٤ - تيقّني أنك لا تقدرين على محاربة الرجل بسلاحه «قوّتُه في لفظه وكفِّه وعِناده»؛ لأنه ثقيل في يدك النضيرة. وإنك لتتعبين من حمله... وسيريك الزمان أن أسلحة المرأة الماضية (الحادّة) هي الجمال والاستسلام والحلم واللطف والسكينة والاتكال، والخجل والبكاء، ولعلك تظنينها أسلحة ضعيفة، ولكن أؤكد لك أنها إذا شحذتها الحمية والأمانة كانت ماضية جداً. كافية لأن تدمّث الطباع الخشنة، وتخفض من غلواء الرجل، وتحط من كبريائه حتى يجثو أمامك خاضعاً.

٥ - لا تعظمي المصائب في بيتك، ولا تستسلمي للحزن والأسف بعد وقوع النازلة، يكفي زوجك جهاده خارج المنزل، فعليك أن تخلقي التعزية والسرور له داخل البيت، فبشِّ له على أي حال، واستقبليه بكل ابتسامة تنبئ عن متسع الأمل وتحيي الرجاء في النفس، وتوقظ الحمية في أعماق القلب.

٦ - تحاشي أن تستطلعي أسرار ماضي زوجك، فإن ماضيه انقضى ومضى وقد تناساه، لأن في وقوفك عليه ما يُنغّص عيشك، ويجعل هناءك شقاء، ولا تنسِ أن زوجك إنسان لا ملاك.

٧ - ارفقي بجيب زوجك، فلا تستنفدي نقوده لاقتناء الحلي والحُلل، وعليك أن تكتفي بما تمس الحاجة إليه من ذلك، أما ما زاد عنه فيعد إسرافاً لا مسوغ له، والكساء البسيط بهندام حسن يدل على سلامة ذوق السيدة ونبلها.

٨ - احترمي عواطف زوجك، وتلمَّسي مواضع حاجاته، وبادري إلى قضائها قبل أن يطالبك بها، حبّبي إلى نفسك حرفته، فإذا كان من أهل الأدب مثلاً فرتبي أوراقه ومكتبه ونظفي أقلامه وأدواته. وإن كان طبيباً فافعلي ما يرضيه

من ذلك، وتولي هذا العمل بنفسك؛ لأن الخدم لم يكلفوا حب سيدهم.

٩ - اعتني باختيار صديقاتك، فبالنظر إليهن يحكم العالم على مكانتك، ولا تطلعي صديقة لك على شيء من دخائل منزلك؛ مهما بلغت منزلتها عندك، ولا سيما ما يتعلق منها بعيب أو نكبة.

١٠ - حينما تجلسين إلى المائدة: اجتهدي أن تكوني في أوضح مظاهر البهجة والسرور، لأن الوجه العابس يعوق الهضم ويفسده، وفساده داع إلى اعتلال الصحة.

١١ - كوني للزوجات نموذجاً صالحاً، فأحبي، وشجّعي، وعزّي، واحتملي، وسامحي، واحترمي... تريْ نفسك في السبيل الذي يفضي بالزوجة إلى السعادة والهناءة والعيش في ظلال الراحة والرخاء.

ما ينبغي تجنُّبُهُ:

ولا يجوز أن تكون العروس في زينتها يبدو منها ما لا يحل للآخرين، فيراها الآخرون.. وكأن الله قد أسقط تشريعاته في حدود العورة للأجانب هذه الليلة. كما لا يجوز أن تقام الولائم للأغنياء ولا يُشارك فيها الفقراء، وتكره الاستدانة من أجل المظاهر الكاذبة.. والمشاركة من الأهل والأصدقاء في الوليمة، والمهر عمل مشروع إذا رضيه الزوج، وإلّا فإن من في طبعه الاستعلاء على الهدايا يعتبر ذلك قاصمة الظهر، ومذلة العمر.. فعلى صحبه أن يترفعوا عن ذلك ولا يحرجوه، وإلا فالأصل التضامن..

obeikandl.com

البحث الخامس:

من ذكريات سلفنا الصالح في ليلة الزفاف

في بيت شريح القاضي الفقيه:

قال القاضي شريح للشعبي[١]:

«فلو رأيتني يا شعبي وقد أقبل نساؤهم يهدينها حتى أدخلت علي؟ فقلت: إن من السنة إذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم فيصلي ركعتين فيسأل الله من خيرها، ويعوذ به من شرها قائلاً:

«اللهمَّ إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه» فصليت وسلمت. فإذا هي من خلفي تصلي بصلاتي. فلما خلا البيت ودنوت منها، ومددت يدي إلى ناحيتها قالت: على رِسْلك يا أبا أمية، كما أنت. ثم قالت: «الحمد لله أحمده وأستعينه، وأصلي على محمد وآله، إني امرأة غريبة، لا علم لي بأخلاقك فبيِّن لي ما تحب فآتيه، وما تكره فأبتعد عنه. وقالت: إنه قد كان لك في قومك منكح، وفي قومي مثل ذلك. ولكن إذا قضى الله أمراً كان، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به، إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولك».

وقال شريح: فأحوجتني والله يا شعبي إلى الخطبة في ذلك الموضع فقلت: «الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأصلي وأسلم على النبي وآله، وبعد: فقد قلت كلاماً إن تثبتي عليه يكن ذلك حظك، وإن تدعيه يكن حجة عليك. أحب كذا، وأكره كذا. ونحن سواء فلا تفرّقي. وما رأيت من حسنة فانشريها، أو سيئة فاستريها».

قالت: وكيف محبتك لزيارة الأهل؟

---

(١) المرأة في التصوّر الإسلامي: لعبد المتعال محمد الجبري، ص: ٨٦-٨٧، ط. مكتبة وهبة - القاهرة.

شريح: ما أحب أن يملني أصهاري.

قالت: فمن تحب من جيرانك أن يدخل بيتك آذن له، ومن تكرهه أكرهه؟

شريح: بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم سوء.

قال شريح: فبتّ يا شعبي بأنعم ليلة. ومكثت معي حولاً لا أرى إلا ما أحب، فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء، فإذا بعجوز تأمر وتنهي في البيت قلت: من هذه؟ قالوا: فلانة ختنك. فسُرّي عني ما كنت أجد.

فلما جلست أقبلت العجوز وقالت: السلام عليك يا أبا أمية، قلت: وعليك السلام. من أنت؟ قالت: أنا فلانة ختنك. قلت: قربك الله. قالت: كيف رأيت زوجتك؟ قلت: خير زوجة. فقالت: يا أبا أمية، إن المرأة لا تكون أسوأ حالاً منها في حالتين: إذا ولدت غلاماً أو حظيت عند زوجها. فإن رابك ريب فعليك بالسوط؛ فوالله ما حاز الرجال في بيوتهم شراً من المرأة المدللة.

قلت: أما والله لقد أدبتِ فأحسنتِ الأدب، وروّضْتِ فأحسنت الرياضة.

قالت: تحب أن يزورك أختانك؟

قلت: متى شاءُوا.

قال شريح: فكانت تأتيني في رأس كل حول توصيني تلك الوصية، فمكثت معي عشرين سنة، لم أعتب عليها في شيء إلا مرة واحدة كنت لها ظالماً.

وروى أحمد بإسناد حسن حديث ربيعة الأسلمي قائلاً: كان ربيعة الأسلمي قد انقطع إلى رسول الله ﷺ يخدمه ويبيت عنده لحاجة إلى طرقته. فقال له رسول الله ﷺ: «**ألا تتزوج؟**» فقال: يا رسول الله إني فقير لا شيء لي وأنقطع عن خدمتك. فسكت ثم عاد ثانياً فأعاد الجواب. ثم تفكر الصحابي وقال: والله لرسول الله ﷺ أعلم بما يصلحني في دنياي وآخرتي، وما يقربني إلى الله مني. ولئن قال لي الثالثة لأفعلن. فقال له الثالثة: «**ألا تتزوج؟**» قال: فقلت: يا رسول الله زوجني. فقال: «**اذهب إلى بني فلان فقل: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تزوجوني فتاتكم**». قال: فقلت: يا رسول الله لا شيء لي... فقال لأصحابه:

«**اجمعوا لأخيكم وزن نواة من ذهب**». فجمعوا له؛ فذهبوا به إلى القوم فأنكحوه. فقال له: «**أَوْلِمْ**». وجمعوا له من الأصحاب شاة للوليمة.

كما يكره أن يقدم الزوج لزوجته عند الوقاع نقوداً أو حلياً لإزالة البكارة، أو لمضاجعتها أول مرة، كما هي عادة بعض السفلة حتى لا يشبه ذلك الزنا. ويكره فض البكارة بغير عضو التذكير.. فليأخذ الزوج عروسه بالمداعبة حتى يسلس له قيادها ويضاجعها برفق متلطفاً بها.. ويظن غير المجربين أن الموضع مسدود بغشاء البكارة ولا يمكن أن يزيله بالطريق الطبيعي التي يتم به اللقاح في كل ما خلق الله، والواقع أن يولج دون أن يعلم أن فتحة المكان تميل إلى أسفل البطن وهي غير فتحة البول الضيقة. وعليه أن يلاحظ ذلك، فعندئذ لا يجد انسداداً.. وما دخل الرفق في شيء إلا زانه. وقد يحتاج اكتمال فض البكارة عدة أيام فتزال شيئاً فشيئاً.. ولا داعي للقلق بأي حال.. وما دام هناك تلطف ورفق ومداعبة للزوجة حتى ترضى فإن الأمر يكون هيناً لا يصحبه الضجيج والصراخ الذي لا ينشأ إلا عن الاستكراه.

وما عليه العامة من فض البكارة بالإصبع، ثم إعلان دم البكارة على ثوب أبيض يعلق أو ينشر على الناس ليس من الإسلام، ويجانب تعاليمه الكريمة. وإنما تعد (منشفة) أو أي خرقة لتنظيف المكان من الإفرازات المنوية، توارى عن الأعين، وتغسل وتحفظ في ستر، سواء في ليلة الزفاف أو في الليالي الأخرى.